

حسن البناء ومشروع نهضة الأمة



رسالة من محمد مهدي عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد؛

يقول الله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَأُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب) (23).

في حياة الأمم والشعوب يظهر قادةً أفذاذ يصنعهم الله على عينه، ويؤلف من حولهم القلوب فيقومون بمهمة إحياء هذه الأمم، وقيادة نهضتها وإعلاء مكانتها.

ولقد كان الإمام الشهيد حسن البناء شهيد فلسطين أحد هؤلاء الذين أوقفوا حياتهم منذ نعومة أظافرهم من أجل نهضة مصر والأمة العربية والإسلامية، ولقد بني مشروعه للنهضة، والذي انطلق من مصر، ثم التَّفَ حوله الملايين في كل أنحاء العالم على أساس ثلاثة هي:

1- إن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شئون الناس في الحياة الدنيا، وما يترتب على ذلك من سعادة في الآخرة، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجيش، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف، والقرآن الكريم ينطق بذلك كله ويعتبره من ألب الإسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جمِيعاً، وإلى هنا تشير الآية الكريمة **«وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُ»** (القصص: من الآية 77).

2- إن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبداً، وإن كثيراً من الآراء والعلوم التي اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التي أوجدها والشعوب التي عاصرتها.. لذا يجب أن تستقي النظم الإسلامية التي تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافي معين السهولة الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا غير ما يقيدها الله به، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جمِيعاً.

3- إن الإسلام كدين عام انتظم شئون الحياة في كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، جاء أسمى وأكمل من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصاً في الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية في كل شأن من هذه الشئون، ويرشد الناس إلى الطرق العملية للتطبيق عليها والسير في حدودها.. وقد عني الإسلام عنايةً تامةً بعلاج النفس الإنسانية، وهي مصدر النظم، ومادة التفكير والتصوير والتشكيل.. رسالة المؤتمر الخامس.

على هذه الأسس الثلاثة بني الإمام البناء بناءً مشروع النهضة عند الإخوان المسلمين، فكانت أهم خصائصه المرونة والبساطة والشمول والتكامل والربانية والواقعية، وهي من أهم خصائص الإسلام نفسه. لقد درس الإمام البناء تاريخ المسلمين ووقف على أهم عوامل التحلل في كيان الدولة الإسلامية التي صمدت في وجه الأنواء حتى القرن السادس الهجري، عندما مزقتها جحافل التتار، ثم جاء الفزو الأجنبي في القرن الرابع عشر الهجري ليترك وراءه ما نراه اليوم من أمم مبعثرة ودولات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوشب للنهوض.

لقد كان تشخيص الداء مرحلةً مهمةً قبل وصف العلاج وهو ما رسمه البناء عليه رحمة الله فذكر أهم العوامل التي أدت إلى تحلل الدولة الإسلامية وفي مقدمتها ومن أهمها:

- 1- الخلافات السياسية والعصبية وتنافز الرياسة والجاه.
- 2- الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة، وإهمال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والجمود والتعصب للآراء والأقوال والولع بالجدل والمناظرات والمراء.
- 3- الانغماس في الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والشهوات.
- 4- انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراك معانيه.
- 5- إهمال المعارف الكونية والعلوم العلمية، وصرف الأوقات والجهود في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة.

- 6- غرور الحكام بسلطانهم، والانخداع وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم حتى سبقتهم في الاستعداد والأمية وأخذتهم على غرة.
- 7- الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم، والاندفاع في تقليلهم فيما يضر ولا ينفع، مع النهي الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم، وضرورة المحافظة على مقومات الأمة الإسلامية، (رسالة بين الأمس واليوم).

ثم شرح الإمام الشهيد كيف يمد الإسلام الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر بما لا يدع مجالاً للشك أمام كل مسلم وعربي بل وكل إنسان بأن مزايا التوجه الإسلامي تحقق للأمة الكثير من الفوائد؛ لأنه قد جُرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته، وله من القدسية والاستقرار في النفوس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه، فضلاً عن الاعتزاز بالقومية والإشادة بالوطنية الخالصة؛ حيث نبني حياتنا على قواعdenا وأصولنا ولا نأخذ عن غيرنا، وهذا أرقى معاني الاستقلال الاجتماعي والحيوي بعد الاستقلال السياسي.

وأن السير على هذا المنهج وتشييد النهضة على أصول الإسلام يأتيان تقويةً للوحدة العربية أولاً ثم للوحدة الإسلامية ثانياً.

وإن هذا المنهج تام شامل يضع نظم الحياة للأمم على أساسين مهمين: أخذ الصالح وتجنب الضار.

وفي بيان ما تحتاجه الأمة الناهضة من أساس ودعائم وكيف يمددها به الإسلام قال الإمام الشهيد في رسالة "نحو النور" وهي خطاب للزعماء وقادمة للأمة:

1- الإسلام والأمل: تحتاج الأمة الناهضة إلى الأمل الواسع الفسيح والقرآن يبين لنا أن اليأس سبيل إلى الكفر والقنوط من مظاهر الضلال ويقول الله لنا: ﴿وَتَرِيدُ أَنْ تَمْنَعَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَطَعْفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص)، ويقول لنا: ﴿وَتَلِكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: من الآية 140).

2- الإسلام والعزة القومية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: من الآية 110).. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: من الآية 143)، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المافقون: من الآية 8).

والوطن في عُرف الإسلام يشمل:

* القطر الخاص أولاً.

* الأقطار الإسلامية الأخرى، كلها للمسلم وطن ودار.

* الإمبراطورية الإسلامية الأولى التي شادها الأسلاف بدمائهم.

* ثم يسمو حتى يشمل الدنيا جمِيعاً.

وبذلك يكون الإسلام قد وَقَّع بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جموعاً.. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

3- الإسلام والقوة والجندية: حيث جعلها الإسلام فريضة محكمة من فرائضه، ولم يفرق بينها وبين الصلاة والصوم في شيء.

4- الإسلام والصحة العامة: ﴿وَرَأَدَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (البقرة: من الآية 247) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" .. ويقول صلى الله عليه وسلم: "إن لبدنك عليك حفّاً".

5- الإسلام والعلم: حيث يجعله فريضة من فرائضه كالقوة وبناصره، وكانت أول آية نزلت ﴿أَفَرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق).

6- الإسلام والخلق القوي الفاضل.. حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: 9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (الشمس: 10) .. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: من الآية 11).

7- الإسلام والاقتصاد: والشنون الاقتصادية أهم الشئون في هذه العصور وقد أولاها الإسلام أكبر الاهتمام وأعظم التقدير، ووضع لها القاعدة العامة التي تكفل سلامة البنيان الاقتصادي، فحرّم الربا والاحتكار وأحلّ البيع والشراء.

8- نظم الإسلام العامة: إن نظم الإسلام فيما يتعلق بالفرد أو الأسرة أو الأمة حكمته وشعبتها أو صلة الأمم بعضها ببعض، جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيصالها، وأنها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثاً أو قدیماً.

هذا حكم يؤيده التاريخ ويشتبه فيه البحث الدقيق في كل مظاهر حياة الأمة، ورداً على من يقول إن بناء نهضة مصر والعرب والمسلمين قد ينتقص من حقوق الأقليات غير المسلمة، أو يعكر صفو العلاقة مع الغرب وبقية الدنيا.

يقول الإمام: إن الإسلام وضع نصوصاً صريحةً واضحةً لحماية الأقليات وفي منها ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَنَفْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: 8).

والإسلام قدسَ الوحدة الإنسانية العامة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

وقدسَ الوحدة الدينية العامة وقضى على التعصب في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَهْدِ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 136).

ثم قدسَ الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عداوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَجُوا بَيْنَ أَخْوَيْهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ (الحجرات: 10).

وَحَدَّدَ بوضوح ودقة من يحق لنا كمسلمين أن نناوئهم ونقطعهم في قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْهِمُونَهُمْ وَمَنْ يَتَوَهَّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المتحنة).

أما الغرب والغربيون؛ فإن هذه الدول إن كانت تسيء بنا الظنون فهي لا ترضى عنا سواء اتبعنا الإسلام أم غيره، وهذا ما حدث خلال قرنين من الزمان فانهارت تجارب النهضة التي بناها مؤسسوها على غير قواعد الإسلام.

إن أصول النهضة في الشرق غير أصولها في الغرب، ورجال الدين غير الدين نفسه، وإن بداية النهضة يجب أن تبدأ بإنشاء قواعدها على دعائم قوية من الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابقة وهو ما يأمر به الإسلام.

وعلينا أن نتخد خطوات عملية في كافة المجالات مع البحث الدقيق والصبر على العلاج وتحطيم العقبات، مع ما يحتاجه ذلك من طول الأذاء وعظيم الحكمة ومضي العزيمة.

ونعلم أنه إذا صدق العزم وضح السبيل، وأن الأمة القوية الإرادة إذا أخذت في سبيل الخير فهي لا بد واصلة إلى ما شاء الله تعالى، فلننوجه إلى النهضة والله معنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.